العلماء
بين التوقير والتطاول

تأليف
الدكتور طلعت محمد عفيفي
عميد كلية الدعوة - جامعة الأزهر

دار السلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

كافة حقوق الطبع والنشر والترجمة محفوظة
للناشر
دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع
لصاحبها
عبد القادر محمود البكار

الطبعة الأولى
١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م

دار السلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة
القاهرة - مصر ١٢٠ شارع الأزهر ص ب ١٦١ الغورية - الرمز البريدي : ١١٦٣٩
هاتف ٥٩٣٢٨٢٠ - ٢٧٤١٥٧٨ - ٢٧٠٤٢٨٠ (٢٠٢) فاكس ٢٧٤١٧٥٠ (٢٠٢)

وأول قسم جاء في القرآن كان القسم بالقلم ، ليتأكد اهتمام الإسلام بالعلم ووسائله فى حياة المسلمين ، ونذكِّر - كذلك - بأن كلمة (علم) بتصريفاتها المختلفة وردت في عدد من آيات القرآن الكريم جاوز السبعمائة والخمسين ، وفي ذلك تأكيد - يضاف إلى ما سبق - على احتفاء الإسلام بالعلم ، واهتمامه البارز به .

ولئن كانت للعلم وسائله وأسبابه التي لا يُسْتَغنى عنها ، فإن من أهمها : وجود العلماء الذين هم أوعيته وناقلوه .

وتدلنا السنة على أن غياب هؤلاء العلماء إيذانٌ بحلول الجهل وتصدُّر الجهلاء للأمر ، ومن ثمَّ يقع الفساد والاضطراب ، ففي الحديث : - « إن اللَه لا يقبض العلماء

انتزاعًا ينتزعه من العباد ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ، حتى إذا لم يُبْقِ عالمًا ؛ اتخذ الناس رءوسًا جهالاً ، فسئلوا فأفتوا بغير علم ، فضلوا وأضلوا » [1] .

لأجل هذا أعلى الإسلام من قدر العلماء ، وبوَّأهم مكانة سامقة ، وجعل تكريمهم وتوقيرهم فرضًا لازمًا على كل مسلم ، تكريمًا للعلم الذي يحملونه ، والرسالة التي يؤدونها .

لكنني لا حظت أن توقير علماء الإسلام قد انطفأت جذوته ، وتعالت - فى المقابل -

---

(١) أخرجه البخاري ، واللفظ له (٣٠/١) كتاب العلم - باب كيف يقبض العلم ومسلم (٢٠٥٨/٤) كتاب العلم - باب هلك المتنطعون والترمذي (٣١/٥) كتاب العلم - باب ما جاء في ذهاب العلم ، وابن ماجه (٢٠/١) المقدمة - باب اجتناب الرأي والقياس ، وأحمد (١٦٢/٢) .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده .

وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له ، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله ، وصفيه وخليله ، وخيرته من خير خلقه وحبيبه . صلوات ربي وسلامه عليه ، وعلى آله وصحبه ، ومن سار على نهجه ، وارض اللَّهم عنا معهم بعفوك وكرمك وإحسانك يا رب العالمين .

وبعد : -

فإن تقدير الإسلام للعلم أمر لايكاد يخفى ، فأولى آيات القرآن نزولاً أمرت بالقراءة التي هي وسيلة من وسائل التعلم ،

أصوات تنال من علمائنا ، ورموز الخير فى أمتنا ، ومن ثم رأيت أن أسهم بمجهود متواضع في كشف النقاب عن خطورة هذه المسألة ، والأضرار المترتبة عليها ، واستلزم ذلك أن أتحدث عن أسبابها ، وكيف يمكن التغلب عليها ، وما هو الواجب علينا حيال ما نكتشفه من أخطاء العلماء ، مع مقدمات للموضوع تبين مكانة أهل العلم في الإسلام ، ودعوته إلى توقيرهم ، ومظاهر هذا التوقير ، ونماذج عملية على توقير العلماء لتكون نبراسًا نستضيء به ، ونستلهم منها السداد والصواب ، وذلك في إحدى عشرة نقطة متتالية ، تتميز كل منها بعنوان جانبي ، وتعالج مسألة من هذه المسائل .

وقد أسميت بحثي هذا « العلماء بين

التوقير والتطاول » سائلاً اللَه تعالى أن يحقق ثمرته ، وينال بغيته .

وما توفيقى إلا بالله ، عليه توكلت وإليه أنيب .

المؤلف

الدكتور طلعت محمد عفيفي

عميد كلية الدعوة - جامعة الأزهر

١ - من هم العلماء ؟

أول ما يتبادر إلى الذهن عند مطالعة عنوان البحث سؤال مؤداه : ماذا نعنى بالعلماء ؟ وهل نراهم فقط علماء الشريعة ، وأهل التفسير والحديث ، أمْ أن المعنى أشمل من ذلك ؟ .

لذا كان من المناسب أن نشير إلى من ننعتهم بكلمة « العلماء » .

إن المعارف والعلوم تتنوع تنوعًا كثيرًا ، وينبثق عن هذا التنوع وجود علماء كثيرين فى كل مجال .

ومن هذه العلوم والمعارف - على كثرتها - ما هو محمود ، وما هو مذموم .

ويتحدد كون العلم محمودًا أو مذمومًا بالغاية التي يوصِّل إليها ، أو التي يحققها ؛

فإن دلَّ العلم صاحبه على الله ، وأعانه على تحقيق طاعته لمولاه ؛ كان علمًا نافعًا محمودًا ، وإلاَّ كان غير ذلك .

ويؤيد هذا المعنى : أن اللَّه تبارك وتعالى أثبت لبعض الناس علمًا ، لكنهم لَّما قَصَرُوه على هذه الحياة ، وتعلقوا بقشور العلم دون لُبَابِه ، حتى استباح بعضهم لنفسه الجحود والإلحاد ، صاروا بذلك في عداد الجاهلين .

يقول الله تعالى : ﴿ وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴾ (١) .

وعلى ذلك فإن العلماء هم حملة رسالة الإسلام ، وحرَّاس عقيدته ، وعلومهم أدوات يطوِّعونها لهداية الخلق ، ودعوتهم إلى

(١) سورة الروم - الآيتان (٦ - ٧) .

الحق ، سواء كانت علومهم علومًا شرعية تُقْصَد لذاتها ، أو كانت علومًا يُتَوَصَّلُ بها إلى أمر شرعي .

وكم قرأنا وشاهدنا علماء في تخصصات مختلفة كالطب والاقتصاد واللغة والفلك . . . إلخ كانت لهم أياد بيضاء على الفكر الإسلامي ، وطوَّعوا تخصصاتهم تلك لخدمة دينهم ، ونصرة دعوتهم ، فخلَّد التاريخ ذكراهم ، ووضعهم - جنبًا إلى جنب - مع علماء الفقه والتفسير وغيرهم ، ومنهم - على سبيل المثال لا الحصر - جابر بن حيان ، والحسن بن الهيثم ، والبيروني ، والخوارزمي ، وغيرهم .

١٣

٢ - منزلة العلماء في الإسلام

للعلماء في الإسلام - بالمعنى المشار إليه سلفًا - مكانة سامقة ، ومنزلة عالية .

وفي القرآن الكريم إشارات متعددة إلى هذه المنزلة في أماكن كثيرة من كتاب اللَه ، نختار منها ما يلي : -

أ - قول اللَّه تبارك وتعالى : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (١) .

فقد شهد سبحانه بنفسه على وحدانيته - وهي أهم ما في هذا الدين - وثنى بخيار خلقه : فذكر الملائكة أولاً ، والعلماء ثانيًا ، وفي هذا تكريم لهم وتشريف لا يعدله شيء .

(١) سورة آل عمران - آية (١٨) .

ب – قول اللَه تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴾ [١] . فمعرفة حق اللَه تعالى ، والقيام بما يستلزمه ذلك من تعظيم اللَّه وخشيته محصور فى أهل العلم ، كما يدل عليه لفظ (إنما) ، وهذا تكريم لهم أيضًا .

جـ – قول اللَّه تعالى : ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾ [٢] . وهو من باب ذكر الخاص بعد العام لأهمية هذا الخاص ، حيث إن أهل العلم ذُكِروا ضمن المؤمنين أولاً ، ثم أُفْرِدُوا بالذكر ، وذلك للتنبيه على فضلهم ، وعلو منزلتهم .

ذ – قوله اللَّه تعالى : ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾ [٣] .

(١) سورة فاطر – الآية (٢٨) .
(٢) سورة المجادلة – الآية (١١) .
(٣) سورة العنكبوت – الآية (٤٣) .

وقوله : ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴾ [١] وقوله : ﴿ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ ﴾ [٢] . وقوله : ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾ [٣] .

وغير ذلك من الآيات التي تشير إلى سمو منزلة العلماء صراحة أو ضمنًا .

والسنة النبوية – كذلك – احتوت على الكثير من الأحاديث التي تنبئ عن تكريم الإسلام للعلماء ، ومن أبرزها حديث أبي الدرداء الصحابي مرفوعًا إلى النبي ﷺ ، والذي جاء فيه « . . وإن العلماء ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا ، وإنما ورَّثوا العلم ، فمن أخذه

(١) سورة الروم – الآية (٢٢) .
(٢) سورة الزمر – الآية (٩) .
(٣) سورة طه – الآية (١١٤) .

أخذ بحظٍ وافر » [١] .

يقول الإمام ابن القيم في تعليق له على هذا الحديث : قوله : « إنَّ العلماء ورثة الأنبياء » هذا من أعظم المناقب لأهل العلم ؛ فإن الأنبياء خير خلق اللَّه ، فورثتهم خير الخلق بعدهم ، ولما كان كل موروث ينتقل ميراثه إلى ورثته ؛ إذ هم الذين يقومون مقامه من بعده ، ولم يكن بعد الرسل من يقوم مقامهم في تبليغ ما أرسلوا به إلا العلماء ؛ كانوا أحقَّ الناس بميراثهم وفي هذا تنبيه على أنهم أقرب الناس إليهم ؛ فإن الميراث إنما يكون لأقرب الناس إلى

(١) أخرجه أبو داود (٥٧/٤) ، كتاب العلم – باب الحث على طلب العلم ، والترمذي (٤٩/٥) كتاب العلم – باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة ، وابن ماجه (٨/١) المقدمة – باب فضل العلماء والحث على طلب العلم .

الموروث ، وهذا – كما أنه ثابت في ميزان الدينار والدرهم – فكذلك هو في ميراث النبوة ، واللَّه يختص برحمته من يشاء [١] .

ويقول سفيان بن عيينة – في نفس المعنى أيضًا : « أرفع الناس عند اللَّه منزلة من كان بين اللَّه وبين عباده ، وهم الرسل والعلماء » [٢] .

(١) مفتاح دار السعادة (٦٦/١) – مكتبة الفاروق الحديثة – بدون تاريخ .
(٢) المرجع السابق (٦٦/١) .

٣ - دعوة الإسلام لتوقير العلماء

توقير العلماء معناه : تعظيمهم وتكريمهم ، والقيام حيالهم بما يجب من احترام وإجلال .

وفي القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وأقوال السلف الصالح ما يدل على أهمية هذا الأمر وضرورته لكل مسلم .

ونتعرَّف الآن على بعض ما ورد في هذا الشأن ، ونبدأ بما جاء في القرآن .

أ - **قول اللَّه تبارك وتعالى** : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ ﴾ [١] .

والشاهد في هذه الآية الكريمة قوله فيمن يجب علينا طاعتهم ﴿ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ ﴾ ؛ فقد

(١) سورة النساء (٥٩) .

ورد عن الصحابي الجليل عبد اللَّه بن عباس رضي الله عنهما في تفسير المراد بأولى الأمر : أنهم أهل الفقه والدين ، وكذا قال مجاهد وعطاء والحسن البصري وأبو العالية ﴿ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ ﴾ يعني العلماء [١] .

ب - وبطريقة عملية تربوية فيما يجب أن يتحلَّى به الناس من آداب حيال أهل العلم تورد لنا سورة الكهف قصة نبي اللَّه موسى مع الخضر عليهما السلام .

وبالتأمل في هذه القصة المباركة نلاحظ عدة أشياء تصبُّ في إطار تعليم الناس احترام أهل العلم وتوقيرهم .

ومن ذلك : -

- أن احترام أهل العلم وتوقيرهم

(١) انظر تفسير ابن كثير (٥١٨/١) طبعة عيسى الحلبي .

واجب على كافة الناس وإن ارتفعت أقدارهم ؛ فنبي اللَّه موسى عليه السلام - وهو كليم اللَّه ورسول من أولي العزم ، وأنبياء بني إسرائيل كلهم داخلون تحت شريعته - لَّما أراد أن يتعرف على ما لدى الخضر من علم لم تمنعه منزلته من إجلال الخضر وتوقيره ، وإظهار الاحترام له .

- كان نبي اللَّه موسى عليه السلام نموذجًا كريمًا في التلطف وحسن الكلام مع الخضر ؛ ففي أول لقاء بينها يقول - بأسلوب يفيض أدبًا واحترامًا - : ﴿ هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا ﴾ [١] .

فأجاب الخضر قائلاً : ﴿ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ۝٦٧ وَكَيۡفَ تَصۡبِرُ عَلَىٰ مَا لَمۡ تُحِطۡ

(١) سورة الكهف - الآية (٦٦) .

بِهِۦ خُبۡرٗا ﴾ [١] . فما كان منه إلا أن أبدى له رغبته في التعلم ، وأنه - لأجل ذلك - سيكون صبورًا وملتزمًا بما يمليه عليه من أوامر ، فقال : ﴿ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرٗا وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرٗا ﴾ [٢] .

- حين وافق الخضر عليه السلام على مرافقة نبي اللَّه موسى له اشترط عليه شرطًا يلتزم به ويؤديه قائلاً له : ﴿ فَإِنِ ٱتَّبَعۡتَنِي فَلَا تَسۡـَٔلۡنِي عَن شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ أُحۡدِثَ لَكَ مِنۡهُ ذِكۡرٗا ﴾ [٣] . لكن نبي اللَّه موسى عليه السلام لم يف بما اشترطه عليه الخضر ولم يحتمل السكوت على ما رأى ، فكان أن قال له الخضر : ﴿ هَٰذَا فِرَاقُ بَيۡنِي وَبَيۡنِكَۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأۡوِيلِ مَا لَمۡ تَسۡطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا ﴾ [٤] .

(١) سورة الكهف - الآية (٦٧ ، ٦٨) .
(٢) سورة الكهف - الآية (٦٩) .
(٣) سورة الكهف - الآية (٧٠) .
(٤) سورة الكهف - الآية (٧٨) .

وهكذا تدلنا القصة - بألفاظها وروحها - على ما ينبغي أن نتأدب به حيال أهل العلم . وفي القصة جوانب أخرى لا يتسع المجال للتفصيل والإسهاب فيها .

ج - ما أوردناه في النقطة السابقة من آيات في بيان منزلة العلماء تصلح للاستدلال بها - كذلك - على وجوب توقير العلماء ، وذلك من جهة أن اللَّه رفع منزلتهم ، وأعلى قدرهم ، ويفهم من ذلك أن تكريمنا لهم ، وتعظيمنا لقدرهم تكريم للَّه وتعظيم له ، لما في ذلك من الرضا عمن رضي عنهم اللَّه ، والحب لمن أحبهم اللَّه .

ويؤيد هذا الاستنباط ما أخرجه أبو داود في سننه عن رسول اللَّه ﷺ أنه قال : « إن من إجلال اللَّه : إكرام ذي الشيبة المسلم ،

وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه ، وإكرام ذي السلطان المقسط » [١] .

وأما السنة النبوية : فقد ورد فيها كذلك ما يدعونا إلى توقير العلماء واحترامهم ؛ فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن رسول اللَّه ﷺ قال : « ليس من أمتي من لم يجل كبيرنا ، ويرحم صغيرنا ، ويعرف لعالمنا » [٢] يعني :

(١) أخرجه أبو داود ، وسكت عنه (جـ ٢ - ص ٦١٢) كتاب الأدب - باب في تنزيل الناس منازلهم . ومعنى الحديث : إن من أدلة تعظيم المسلم لربه وإجلاله له إكرام الشيخ المسلم المسن ، وحامل القرآن الواقف عند حدوده ، غير المتجاوز الحد في العمل به ، ولا يتتبع ما خفي عليه واشتبه عليه من معانيه ، ويكثر من تلاوته فلا يُعرْض عنه ، والسلطان العادل في حكمه بين رعيته .
(٢) أخرجه أحمد في مسنده واللفظ له (٣٢٣/٥) طبعة المكتب الإسلامي - بدون تاريخ - وقال عنه الهيثمي في مجمع الزوائد (جـ ٢ - ص ١٤) : رواه أحمد والطبراني وإسناده حسن .

يعرف له حقه ، وقد ذكرت هذه اللفظة كجزء من الحديث في غير رواية أحمد .

- **ويضرب لنا رسول اللَّه ﷺ المثل بنفسه في إجلال** وتوقير أهل العلم ، ليجمع بين الدعوة بالقول والتطبيق بالعمل ؛ فعن جابر ابن عبد اللَّه رضي الله عنهما أن رسول اللَّه ﷺ كان يجمع بين الرجلين من قتلى أُحُدٍ في ثوب واحد ، ثم يقول : « أيهم أكثر أخذًا للقرآن ؟ » فإذا أشير له إلى أحدهما قدَّمه في اللَّحد [١] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : بعث رسول اللَّه ﷺ بعثًا وهم ذو عدد فاستقرأهم ، فاستقرأ

(١) أخرجه البخاري (٢٣٣/١) كتاب الجنائز - باب من يُقَدَّم في اللحد ، وأخرجه أبو داود (١٩٢/٢) كتاب الجنائز - باب في الشهيد يغسل ، وأخرجه النسائي (٥٠/٤) كتاب الجنائز - باب ترك الصلاة على الشهداء / وابن ماجه (٤٨٥/١) كتاب الجنائز - باب ما جاء في الصلاة على الشهداء ودفنهم .

كل رجل منهم ما معه من القرآن ، فأتى على رجل من أحدثهم سنًّا ، فقال : « ما معك يا فلان ؟ » قال : معي كذا وكذا وسورة البقرة .

قال : « أمعك سورة البقرة ؟ » فقال : نعم ، قال : « فاذهب فأنت أميرهم » [١] .

ومن أقوال السلف الصالح في وجوب احترام أهل العلم نورد ما يلي : -

أ - **يقول الإمام علي بن أبي طالب** ﷺ : - « محبة العلماء دين يُدَان به » [٢] .

ب - **ويقول طاووس** : « إن من السنة أن توقر العالم » [٣] .

(١) أخرجه الترمذي ، وحسنه (١٥٦/٥) كتاب فضائل القرآن - باب ما جاء في فضل سورة البقرة وآية الكرسي .
(٢) مفتاح دار السعادة (٦٦/١) ابن القيم .
(٣) جامع بيان العلم وفضله (١٣٦/١) أبو عمر يوسف ابن عبد البر - طبعة ثانية سنة ١٩٦٨ م - المكتبة السلفية =

جـ - **ويقول الإمام ابن تيمية** : « يجب على المسلمين بعد موالاة اللَّه تعالى ورسوله ﷺ موالاة المؤمنين كما نطق به القرآن ، خصوصًا العلماء الذين هم ورثة الأنبياء ، الذين جعلهم اللَّه بمنزلة النجوم يُهْتَدى بهم في ظلمات البر والبحر ، وقد أجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم ؛ إذ كل أمة قبل مبعث نبينا محمد ﷺ فعلماؤها شرارها ، إلا المسلمين ؛ فإن علماءهم هم خيارهم ؛ فإنهم خلفاء الرسول في أمته ، والمحيون لما مات من سنته ، بهم قام الكتاب ، وبه قاموا ، وبهم نطق الكتاب ، وبه نطقوا . . . » [١] .

= بالمدينة المنورة .
(١) رفع الملام عن الأئمة الأعلام (١١ - ١٢) بتحقيق زهير الشاويش - طبعة ثانية ١٩٨٤ م - المكتب الإسلامي .

د - **ويقول أيوب بن القُرَيَّة** [١] : « أحق الناس بالإجلال ثلاثة : العلماء ، والإخوان ، والسلاطين . فمن استخف بالعلماء أفسد مروءته ، ومن استخف بالسلطان أفسد دنياه ، والعاقل لا يستخف بأحد » [٢] .

(١) أيوب بن القرية هو أيوب بن يزيد بن قيس بن زرارة النمري الهلالي الأعرابي ، صحب الحجاج ، ووفد على الخليفة عبد الملك ، وكان رأسًا في البلاغة والبيان واللغة ، ثم خرج على الحجاج مع ابن الأشعث مكرها ، وبعد ذلك أسر فضرب الحجاج عنقه سنة ٨٤ هـ . سير أعلام النبلاء (٣٩٧/٤) .
(٢) جامع بيان العلم وفضله (١٧٧/١) ابن عبد البر .

٤ - حكمة الشارع في الأمر بتوقير العلماء

ينبني أمر الشرع بتوقير العلماء على جملة من الحكم ، نلخصها فيما يلي : -

أ - حاجة الناس إلى العلم ، وعدم إمكانهم الاستغناء عنه .

يقول الإمام أحمد بن حنبل ﷺ : الناس في حاجة إلى العلم أكثر من حاجتهم إلى الطعام والشراب ؛ لأنهم يحتاجون إلى الطعام والشراب في كل يوم مرَّة أو مرتين ، ولكنهم يحتاجون إلى العلم بعدد أنفاسهم .

وإذا ثبت ذلك ، وعرفنا أن أوعية العلم هم العلماء ؛ وجب علينا أن نتواضع لهم ونوقرهم ؛ لننال ما عندهم ، وإلا حرمنا

من العلم ، وقد قيل في هذا المعنى :

العلم حرب للمتعالي

كالسيل حرب للمكان العالي [١] .

ب – التسامي بأخلاق المسلمين إلى مرتبة عالية ، ينتج عنها – في هذا الجانب – إنزال الناس منازلهم ، وإعطاء كل ذي حق حقه ، وأنه لا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا ذووه .

فعن عبد اللَّه بن عمر ﷺ عن رسول اللَّه ﷺ قال : « من صنع إليكم معروفًا فكافئوه ، فإن لم تجدوا ما تكافئونه ؛ فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه » [٢] .

(١) المجموع شرح المهذب (٦٦/١) – الإمام النووي – بتحقيق محمد نجيب المطيعي – بدون تاريخ .

(٢) أخرجه أبو داود (٣١٠/٢) كتاب الزكاة – باب عطية من سأل باللَّه ، والنسائي بنحوه (٨٢/٥) كتاب الزكاة – باب من سأل باللَّه ﷻ ، وأحمد (٦٨/٢) .

وتدل كلمات السلف الصالح في هذا الجانب على أن توقير أهل العلم واجب على المسلم ، وليس تفضلاً منه .

يقول الإمام علي ﷺ : إن من حق العالم : ألا تكثر عليه بالسؤال ، ولا تأخذ بثوبه إذا نهض ، ولا تفشين له سرًّا ، ولا تغتابن عنده أحدًا ، ولا تطلب عثرته ، وإن زلَّ قبلت معذرته ، وعليك أن توقره وتعظمه للَّه مادام يحفظ أمر اللَّه ، ولا تجلس أمامه ، وإن كانت له حاجة سبقت القوم إلى خدمته » [١] .

جـ – يبقى أن نقول : إن حكمة الحكم ، وعلة العلل : أن توقير العلماء أمرٌ تعبدى ، وتكليف شرعي ، يفعله المسلم طاعة لخالقه ، وطلبًا لمرضاته ، سواء بانت له أسبابه ، أم خفيت عليه .

(١) جامع بيان العلم وفضله (١٢٩/١) ابن عبد البر .

٣٣

٥ - من مظاهر توقير العلماء ، وأمثلة تطبيقية عليها

تتعدد مظاهر توقير العلماء وتبجيلهم ، وتكثر الأمثلة العملية عليها ، ومن المناسب أن نتعرف على هذه المظاهر ، ونضرب لها بعض الأمثلة ، لتكون بين أيدينا قدوة طيبة ، وأسوة حسنة .

فمن هذه المظاهر :

أ – كثرة الثناء عليهم ، والدعاء لهم .

ب – إظهار الاحترام لهم في صورة عملية .

جـ – عدم التقدم بين أيديهم ، وإعلاء مكانتهم .

د – صيانة حرماتهم ، والمحافظة على أوقاتهم .

هـ - ردُّ الغيبة عنهم .

ونسوق الآن بعض الأمثلة التطبيقية على هذه النقاط ، جامعين فيها - قدر المستطاع - بين أمثلة قديمة وأخرى معاصرة ، وأمثلة من حياة العلماء أنفسهم ومن حياة غيرهم [١] .

- فمن قبيل الثناء على العلم وأهله : ما أثر عن معاوية بن أبي سفيان ﷺ أنه كان يحج ومعه زوجته ، فكان الناس يمرون عليه ، ويسأل : من هذا ؟ فيجيبونه ، فلا يعلِّق ، حتى وجد جماعة حول رجل يسألونه ، فبعضهم يقول : رميت قبل أن أحلق ، وبعضهم يقول : حلقت قبل أن

(١) ذكرت في كتابي « أخلاق الدعاة إلى اللَّه تعالى » وفي بحثي « أدب الاختلافات الفقهية » بعضًا من الأمثلة المتعلقة بهذا الجانب ، وقد حاولت في هذا البحث أن أذكر أمثلة أخرى لم يسبق لي ذكرها في المرجعين السابقين .

أرمي ، يسألونه عن أشياء أُشكلت عليهم من مناسك الحج فقال : من هذا ؟ قالوا : هذا عبد اللَّه بن عمر . فالتفت إلى زوجته قائلاً لها : هذا - وأبيك - الشرف ، وهذا - واللَّه - شرف الدنيا والآخرة [١] .

ومن الأمثلة الدالة على التزام الدعاء لهم : ما ورد عن الإمام أبي حنيفة ﷺ من قوله : ما صليت صلاة منذ مات حماد إلا استغفرت له مع والدَيَّ ، وإني لأستغفر لمن تعلمت منه علمًا ، أو علمته علمًا [٢] .

ومن الأمثلة التي جمع فيها صاحبها بين الثناء على إمام من أئمة العلم والدعاء له :

(١) جامع بيان العلم وفضله (٦٣/١) ابن عبد البر .
(٢) مناقب الإمام أبي حنيفة للموفق الخوارزمي (٧/٢) طبعة مجلس دائرة المعارف النظامية بحيدر آباد الدكن - الهند - بدون تاريخ .

ما ورد عن الإمام أحمد بن حنبل ﷺ أنه قال : ما صليت صلاة منذ أربعين سنة إلا وأنا أدعو للشافعي رحمه اللَّه تعالى .

فقال له ابنه عبد اللَّه : أي رجل كان الشافعي حتى تدعو له كل هذا الدعاء ؟ فقال الإمام أحمد : يا بُنَيَّ ، « كان الشافعي ﷺ كالشمس للدنيا ، وكالعافية للناس ، فانظر : هل لهذين من خَلَف ؟ » [١] .

ومن الأمثلة الدالة على ترجمة توقير العلماء إلى أسلوب عملي : ما ورد أن الصحابي الجليل زيد بن ثابت ﷺ صلى على جنازة ، فقرِّبت إليه بغلته ليركبها ، فجاء الصحابي عبد اللَّه بن عباس ﷺ فأخذ

(١) إحياء علوم الدين (٤٥/١) أبو حامد الغزالي - طبعة دار الشعب - القاهرة .

بركابه ، فقال زيد : خلِّ عنه يا ابن عمِّ رسول اللَّه ﷺ فقال ابن عباس : هكذا أُمرْنا أن نفعل بالعلماء والكبراء [١] .

وأورد الحافظ ابن حجر العسقلاني في هدي الساري مقدمة فتح الباري [٢] : أن الإمام مسلمًا حين لقي الإمام البخاري ﷺ قبَّله بين عينيه ، وقال : دعني حتى أقبل رجليك يا أستاذ الأستاذين ، وسيد المحدثين ، وطبيب الحديث في علله .

وحُكِي أنَّ الخليفة هارون الرَّشيدَ : بَعَثَ ابنَهُ إلى الأصمَعِيِّ لِيُعلِّمه العلم والأدب ، فرآه يومًا يتوَضَّأ ويغسل رجله ، وابن

(١) نفس المرجع (٨٤/١) .
(٢) المرجع المذكور (٤٨٨) طبعة المكتبة السلفية بمصر .

الخليفة يصُبُّ الماء على رجله ، فعاتب الأصمعيَّ في ذلك بقوله : إنما بعثُته إليك لتُعَلِّمه وتؤدِّبه فلماذا لم تأمره بأن يصبَّ الماء بإحدى يديه ، ويغسل بالأخرى رجلك [١] ؟ .

والنقطة الثالثة وهي : عدم التقدم بين أيديهم ، وإعلاء مكانتهم ؛ فأعني بها أن العالم قد يجتمع مع أناس آخرين في مكانٍ ما ، فمن الواجب حينئذ أن نجعله صدر المجلس ، وألا نصدر إلا عن رأيه ، وإذا حضرت الصلاة ؛ جعلناه إمامًا ، وإذا كنا بصدد أمرٍ مهم كان العالم هو المرجع .

يذكر الأستاذ عباس السيسي في كتابه

(١) تعليم المتعلم طريق التعلم (ص ١٨) الإمام برهان الإسلام الزرنوجي - نشر المكتبة الإسلامية - بشاور - باكستان - بدون تاريخ .

« الذوق سلوك الروح » [١] أنَّ الإمام حسن البنا رحمه الله دعي لحفل بمناسبة عقد زواج ابن أحد كبار علماء الأزهر ، وكان من بين المدعوين فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ، وحين بدأ عقد القرآن تقدم عدد من أبناء العائلة إلى الشيخ حسن البنا ليتولى عقد الزواج ، ولكنه اعتذر عن ذلك بإصرار ، وقام بنفسه وقدَّم الإمام الأكبر ليتولى صيغة العقد .

وكانت هذه اللفتة الكريمة من الشيخ حسن البنا رحمه الله درسًا عمليًّا تربويًّا في وجوب توقير العلماء وتعظيمهم .

- والنقطة الرابعة وهي : صيانة حرماتهم ، والمحافظة على أوقاتهم ؛

(١) المرجع المذكور (ص ٤٦) طبعة أولى ١٣٧٠ هـ - نشر إحسان - طهران .

فأعني بها : أن نحترم أوقات العالم ، ونراعي ظروفه ، فإن كانت لنا حاجة فلنستأذن قبلها ، وإذا كان يستقبل الناس في أماكن معينة أو أوقات معلومة ؛ كان علينا أن نلتزم بها ، وإذا كانت له أوقات يستريح فيها أو يدخرها لأهل بيته ؛ لم نقتحمها عليه .

ومما نستدل به في هذا المقام ؛ ما كان من أمر الصحابي الجليل عبد اللَّه بن عباس رضي الله عنهما في طلبه للعلم ؛ فقد روى عكرمة عن ابن عباس قال : لما قُبض رسول اللَّه ﷺ - وأنا شاب - قلت لشاب من الأنصار : يا فلان ، هلم فنسأل أصحاب رسول اللَّه ﷺ ولنتعلم منهم ؛ فإنهم كثير ، قال : العجب لك يا ابن عباس ، أترى الناس يحتاجون إليك وفي الأرض من ترى

من أصحاب رسول اللَّه ﷺ ؟ . قال : فتركت ذلك وأقبلت على المسألة وتتبع أصحاب رسول اللَّه ﷺ ، فإن كنت لأتي الرجل في الحديث يبلغني أنه سمعه من رسول اللَّه ﷺ فأجده قائلاً [١] ، فأتوسد ردائى على بابه تسفي الريح على وجهي حتى يخرج ، فإذا خرج قال : يا ابن عمِّ رسول اللَّه ﷺ : مالك ؟ . فأقول : بلغني حديث عنك أنك تحدثه عن رسول اللَّه ﷺ فأحببت أن أسمعه منك . قال : فيقول : فهلاَّ بعثت إليَّ حتى آتيك ؟ فأقول : أنا أحق أن آتيك . فكان الرجل بعد ذلك يراني - وقد ذهب أصحاب رسول اللَّه ﷺ واحتاج الناس إليَّ - فيقول : كنت أعقل مني [٢] . ا.هـ .

(١) قائلاً : راقدًا وقت القيلولة ، وهي الظهيرة .
(٢) جامع بيان العلم وفضله (١٠٢/١) ابن عبد البر .

والنقطة الخامسة ، وهي رد الغيبة عنهم : لازمة كذلك لمن يحب أن يتصف بتوقير العلماء وتبجيلهم ؛ ذلك أن كثيرين لن تعجبهم جرأة عالم ما ، أو يختلفوا معه في رأي أو مذهب ، وعندئذ يسيئون إليه .

والواجب - حينئذٍ - يحتم على المسلم أن يذُبَّ عن رموز الخير في الأمة ، ويبرِّئ ساحتهم .

ومن الأمثلة على ذلك : ما ذكره ابن عبد البر في كتابه « جامع بيان العلم وفضله » [١] من كلمات واعتراضات على الإمامين الجليلين : مالك والشافعي ، ثم عقب على هذا بقوله :

وما مثل من تكلم في مالك والشافعي ،

(١) نفس المرجع (١٩٨/٢) .

ونظرائهما من الأئمة إلا كما قال الأعشى : -

كَنَاطِح صخرة يومًا ليوهيها

فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

أو كما قال الحسين بن حميد : -

يا ناطح الجبل العالي ليكلمه

أشفق على الرأس لا تشفق على الجبل

٦ - موقف الإسلام من إيذاء أهل العلم والتطاول عليهم

في الوقت الذي تحثنا فيه تعاليم الإسلام على احترام أهل العلم ، والوفاء بحقوقهم من التبجيل والتوقير ، نجد - في المقابل - تحذيرات وتهديدات لمن تسوِّل لهم نفوسهم إيذاء العلماء ، والتطاول عليهم [١] . ونتعرَّف الآن على بعض الآثار التي وردت بهذا الشأن .

أ - أخرج الإمام البخاري في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول اللَّه ﷺ قال اللَّه ﷻ : « من عادى لي وليًّا ؛ فقد

(١) تخصيص حديثنا بحرمة إيذاء العلماء والتطاول عليهم لا يعني أن إيذاء غيرهم من المسلمين مباح ، فكل المسلم على المسلم حرام : دمه ، وماله ، وعرضه ، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، بغض النظر عن موقع هذا المسلم ، ولا يمنع ذلك أن يكون إيذاء العالم أشد من غيره .

آذنته بالحرب . . » [١] .

وإيذان اللَّه تعالى للعصاة بالحرب ورد في القرآن الكريم لمن يتعاطون الربا ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾ [٢] .

واتحاد الجزاء بين أكلة الربا - وهو من الكبائر الموبقات - وبين من يعادون أولياء اللَّه دليل على أن جرم الثانية كالأولى سواء بسواء . فإن قيل : الحديث في جرم إيذاء الأولياء ، فلماذا نستدل به على حرمة إيذاء العلماء ؟ .

(١) أخرجه البخاري (١٢٩/٤) كتاب الرقاق - باب التواضع ، وأحمد (٢٥٦/٦) .
(٢) سورة البقرة الآيتان (٢٧٨ ، ٢٧٩) .

ويجاب عن هذا : بأن العلماء - بنصِّ كلام الأئمة - هم أفضل الأولياء وسادتهم .

ويُرْوَى في الدلالة على هذا أن الإمام الحسن البصري ﷺ قرأ قول اللَّه تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [١] .

فقال : هذا حبيب اللَّه ، هذا ولي اللَّه ، هذا صفوة اللَّه ، هذا خيرة اللَّه ، هذا أحب أهل الأرض إلى اللَّه . . . [٢] .

وقال الإمام الشافعي رحمه الله : إن لم يكن العلماء العاملون أولياء اللَّه ؛ فليس للَّه ولي [٣] .

وقال الإمام ابن القيم : ورثة الأنبياء

(١) سورة فصلت الآية (٣٣) .
(٢) تفسير ابن كثير (١٠١/٤) .
(٣) المجموع شرح المهذب (٤١/١) الإمام النووي .

سادات أولياء اللَّه عز وجل [١] .

ب - يقول الصحابي الجليل عبد اللَّه بن عباس رضي الله عنهما : من آذى فقيهًا فقد آذى رسول اللَّه ﷺ ، ومن آذى رسول اللَّه ﷺ فقد آذى اللَّه تعالى عز وجل [٢] .

جـ - ويقول الإمام الحافظ ابن عساكر ﷺ : اعلم يا أخي - وفقني اللَّه اللَّه وإياك لمرضاته ، وجعلنا ممن يخشاه ويتقيه حق تقاته - أن لحوم العلماء مسمومة ، وعادة اللَّه في هتك أستار منتقصهم معلومة [٣] ، وأن من أطلق لسانه

(١) مفتاح دار السعادة (٦٦/١) ابن القيم .
(٢) المجموع شرح المهذب (٤٨/١) الإمام النووي .
(٣) يصدق الواقع ما يذكره الحافظ ابن عساكر من أن من ينتقص من قدر العلماء يهتك اللَّه ستره ، ويفضح أمره ، فكم من أناس استباحوا لأنفسهم التطاول عل العلماء والنيل منهم ؛ فكان انتقام اللَّه منهم عبرة لمن يعتبر .

في العلماء بالثلْب - يعنى بالتنقص والعيب - بلاه اللَّه قبل موته بموت القلب [١] .

د - ذكر صاحب رسالة « لحوم العلماء مسمومة » نقلاً عن بعض العلماء قوله : أعراض العلماء على حفرة من حفر جهنم [٢] .

هذا ، ويتناول الوعيد المذكور كل من يتعرَّض للعلماء بأي صنف من صنوف الأذى ، كمن يتطاول عليهم بالإيذاء باليد أو الحبس ، ومن يستبيح لنفسه أكل لحومهم بالكلام الفاحش واللفظ البذيء ، أو من يعمد إلى تصويرهم في صور ساخرة ليضحك الناس عليهم .

(١) المرجع السابق (47/1) .
(٢) المرجع المذكور (ص ١٢) د / ناصر سليمان العمر - طبعة أولى ١٤١١ هـ - دار الوطن للنشر - الرياض .

ويشاركهم في هذا الإثم من يوافقونهم ويعلنون الرضا عمَّا يقومون به ، فإن الساكت على المنكر شريك لفاعله .

٧ - من صور التطاول على العلماء

تشيع في المجتمع صور عديدة للتطاول على العلماء ، وقد أسهمت وسائل الإعلام بكافة أشكالها في تنوع هذه الصور وكثرتها ، وفيما يلي نتعرف على بعضها : -

(١) فمن هذه الصور : الرسم الكاريكاتوري ، حيث يستخدم هذا الأسلوب في الصحف والمجلات للسخرية من العلماء وإضحاك الناس عليهم .

رسم أحد مصوري الكاريكاتير صورة لأحد العلماء الأفاضل المرموقين في مصر وهو يركب حمارًا ، وقد جعل رأس الحمار خلف ظهره ، وسقطت عمامته على الأرض ، إشارة من هذا المصور إلى سقوط الداعية ودعوته إلى التخلف والجمود حسب رؤيته .

ورسم آخر أحد المشايخ يجلس في محل أحذية ، ويقول للبائع : بلاش الشمال خلى الفردتين يمين لو سمحت .

وفي مشهد ثالث رسمت صورة لأحد الدعاة وهو يقول لزميله : وحياتك أنا لسه راقع فتوى لمحطة تليفزيون حاتكسر الدنيا . . . إلخ .

(٢) ومن صور التطاول استخدام بعض الصحفيين ألفاظًا تحط من قدر الدعاة والعلماء وفيما يلي بعض عباراتهم : -

* ألغام تحت العمائم .

* مشايخ التكفير والشهرة وفتاوى الصابون .

* الفتاوى والفته .

* نساء في مصيدة الشيوخ المودرن .

* أصحاب العمائم الخشبية . . إلخ .

ولا بأس لدى هؤلاء الصحفيين من إطلاق ألفاظ التكفير والإرهاب ضد من يخالفهم في الفكر من العلماء والدعاة .

ولا بأس كذلك - لديهم - من اختلاق الأكاذيب وتلفيق التهم للدعاة والعلماء لصرف الناس عنهم .

ومما يذكر بشأن اختلاق الأكاذيب ما زعموه من أن الكاتب الإسلامي الشهير سيد قطب رحمه الله كان لا يلتزم بما يدعو إليه من أدب الإسلام ، حيث يدع بناته متبرجات ، وأنهن يترددن على النوادي ويخالطن الشباب . . . إلخ .

ثم كشف اللَّه سوأتهم ، وقبح مقالتهم حين عرف أن سيد قطب رحمه الله لم يتزوج .

وقد اعتادت إحدى المجلات المصرية أن تجعل ضمن خطتها الانتصار للنهج الشيوعي سابقًا ، ثم النهج العلماني حاليًا واستباحت في سبيل ذلك حرمة العلماء والمشايخ ، فلم تدع رمزًا من الرموز التي ألفها الناس وأحبوها من العلماء والدعاة إلا وطعنت فيه ، فقد هاجمت تلك الصحيفة الدكتور / عبد الحليم محمود ، والشيخ جاد الحق ، والشيخ الشعراوي ، والشيخ الغزالي ، والشيخ القرضاوي ، والدكتور / عبد الصبور شاهين ، والشيخ عبد الحميد كشك ، والعلماء المنتسبين لجبهة علماء الأزهر ، وكذلك الدعاة المعاصرين أمثال الشيخ : محمد حسين يعقوب ، وفوزي السعيد ، وأبو إسحاق الحويني ، وهجومها

على الدكتور عمر عبد الكافي كان آخر ماقدمته المجلة في جعبتها ، حتى الدكتور زغلول النجار لم ينج منهم ، في الوقت الذي تدافع فيه المجلة عن مؤلفين صودرت كتبهم لما تحتويه من إساءات للإسلام ومخالفات ، أمثال : نصر أبو زيد ، وسيد القمني ، وفرج فودة ، والعشماوي ، وغيرهم .

ومن ثم لا تتورع - وهي التي يدعي كُتَّابها أنهم حماة الإسلام وحراس عقيدته - أن ينشروا صورًا عارية في مجلتهم ، ويفسحوا صفحات منها لإعلانات الخمور والسجائر .

(٣) فإذا تركنا الصحف والمجلات وأتينا إلى دور السينما والتليفزيون لرأينا إسهامًا بشكل آخر في شيوع التطاول على أهل العلم ، وذلك من خلال ما يعرض من

مسلسلات وأفلام تظهر الشيخ بعمامته البيضاء في شكل مثير للسخرية ، فلا يرتدي من الملابس إلا أرذلها ، ولا يتعاطى من التصرفات إلا أقبحها ، رغم أننا لا نرى شيئًا يحدث مثل هذا لرجال الدين المسيحي أو اليهودي ، ولو حدث لقامت الدنيا ولم تقعد .

ولا شك أن لمثل هذه الصور أثرها السلبي على جماهير المشاهدين ، الذين يفقدون احترامهم لهؤلاء العلماء بعد أن لعبت الشاشة بعواطفهم ، وأطلقت الضحكات عليهم .

(٤) وخارج دائرة الإعلام : يتعاطى آخرون صورًا من التطاول ينشرونها في كتبهم ، أو يروونها على ألسنتهم في أحاديثهم ، والمحصلة النهائية لكل ذلك :

كراهية رجال العلم ، وإعلان الحرب عليهم ، وهو ما حرص اليهود على تحقيقه ، وسجلوا ذلك في بروتوكولاتهم ، والتي جاء فيها : « قد عنينا عناية عظيمة بالحط من كرامة رجال الدين من الأمميين (غير اليهود) في أعين الناس ، وبذلك نجحنا في الإضرار برسالتهم التي كان يمكن أن تكون عقبة كئودًا في طريقنا ، وإن نفوذ رجال الدين على الناس ليتضاءل يومًا فيومًا » [1] أ.هـ .

(١) بروتوكلات حكماء صهيون (ص ٢٤٨) البروتوكول السابع عشر - محمد خليفة التونسي - طبع مكتبة دار التراث .

٨ - النتائج المترتبة على إيذاء العلماء والتطاول عليهم

يترتب على الوقوع في العلماء والتطاول عليهم جملة من النتائج بعضها يعود على المتطاول نفسه ، وبعضها يعود على المجتمع .

فمن الآثار التي تنال الفرد الذي يطلق لسانه بالتطاول على أهل العلم : -

أ - حصول سخط اللَّه وغضبه ، وإيذائه بالحرب لمن تسوِّل لهم نفوسهم هذا العمل ، وقد مرَّ بنا - في النقطة السابقة - بعض الآثار الدالة على ذلك .

ب - فوات المنفعة من أهل العلم ، وضياع الفائدة - في حق الشخص المتطاول - من تراثهم ووجودهم .

وذلك أن المتطاول على أهل العلم يقيم بينه وبينهم حاجزًا نفسيًّا ، فلا يقرأ لهم ، ولا يسمع منهم ، ويكرهونه ، وبذا يصير وجودهم ومؤلفاتهم - في حقه - عدمًا ، ويفوته بذلك ما يكون لديهم من علم ومعرفة . وفي هذا ورد قول البعض : « إنما ينتفع المتعلم بكلام العالم إذا كان في المتعلم ثلاث خصال : التواضع ، والحرص على التعلم ، والتعظيم للعالم ، فبتواضعه ينجح فيه العلم ، وبحرصه يستخرج العلم ، وبتعظيمه يستعطف العالم » [1] أهـ .

وأما ما يعود على المجتمع من آثار ، فمن

(١) نقلاً عن « العلم بين العالم والمتعلم » - جاسم محمد المهلهل - ص ٨٠ - الرسالة الخامسة من سلسلة حقائق الإسلام - طبع وزارة العدل والشئون الإسلامية والأوقاف بدولة الإمارت .

أهمها : -

أ - فقدان الثقة لدى الناس بالعلم والعلماء : -

ومنشأ ذلك أن الناس تقدِّر العلم بالنظر إلى حملته وأوعيته وهم العلماء ، فإذا شُوِّهتْ صورتهم ، ونيل من سمعتهم ؛ سقطوا وسقط علمهم معهم .

ولعلَّ هذا يفسِّر السرَّ في الحملة الشرسة التي يشنُّها أعداء الإسلام على صاحب الرسالة ﷺ وعلى صحابته الكرام ، وعلى رواة الأحاديث ، وتعمدهم تزييف التاريخ الإسلامي ، ليتحقق لهم ما تصبوا آمالهم إليه من هدم الإسلام وتقويض بنيانه .

وهو نفس الأسلوب الذي استخدمه مشركو مكة مع الدعوة في أول ظهورها ، حين اتهموا رسول اللّه ﷺ بالكذب

والكهانة والسحر والجنون .

وما حملهم على تبنِّي هذا الأسلوب إلا علمهم بأن نجاحهم في تشويه صورة صاحب الدعوة يتبعه نجاح في صرف الناس عن دعوته وعن نصرته .

ومن ثمَّ فإن المتطاولين على العلماء يسهمون - من حيث يشعرون أو لا يشعرون - في هدم تعاليم الإسلام ، وتشويه صورته في نظر الآخرين [1] .

ب - تجرئة المتهورين على التنكيل بأهل العلم : -

(١) قد يخطئ العالم - فهو ليس بمعصوم - وينبغي عندئذ أن يُراجع ، ولكن مراجعته لا تعني سبه والتطاول عليه ، وإنما ينبغي التعامل مع أخطاء العلماء بأسلوب آخر غير التطاول ، وسنلقي ضوءًا على هذا الأسلوب في خاتمة البحث إن شاء اللّه .

وذلك لأن المتهوِّر ضعيف الإرادة قليل العلم ، ضيق الأفق ، فإذا سمع تطاولاً على عالم ما ربما رأى - من وجهة نظره - أن يتقرَّب إلى اللّه بإيقاع الأذى به ، أو حتى سفك دمه .

أورد ابن سعد في الطبقات الكبرى [1] عن عبد اللّه بن عكيم [2] ﷺ قال : لا أعين على دم خليفة أبدًا بعد عثمان . فقيل له : يا أبا معبد ، أو أَعَنْتَ على دمه ؟ قال : إني لأرى ذكر مساوئ الرجل عونًا على دمه . اهـ .

(١) المرجع المذكور (٨٠/٣) طبع دار الفكر ١٩٨٥ - بيروت .

(٢) هو عبد اللّه بن عكيم الجهني ، ويكنى أبا معبد ، روى عن عمر وعثمان وعلي وعبد اللّه ، وكان كبيرًا قد أدرك الجاهلية ، وتوفي بالكوفة في ولاية الحجاج بن يوسف - انظر « الطبقات الكبرى لابن سعد » (١١٥/٦) .

والواقع يصدِّق ذلك ؛ فكم من عالم استُحِلَّ دمُهُ ، واستبيح تعذيبه بأيدي مسلمين ، وهم يجدون سندًا لصحة فعلهم مما يجدونه من تطاول وانتقاص من قدر هؤلاء العلماء .

٩ - أسباب التطاول على العلماء

تتعدد الأسباب التي تدفع إلى التطاول على العلماء ، ويمكن تلخيصها فيما يلي : -

أ - بغض الإسلام وكراهية الحق :

فقد دأب كثير من المنتسبين للإسلام على مهاجمة التمسك بتعاليمه ، والمناداة بتطبيقه في كافة شئون الحياة .

ويرى هؤلاء في مهاجمة العلماء - القدامى والمعاصرين - والتعرض لهم بالغمز واللمز تحقيقًا لأغراضهم ، فكم يفتري هؤلاء الكذب ، ويلفقون التهم لعلماء الإسلام ومفكريه ، بغية النيل من الإسلام ذاته ، والوصول إلى مقاصدهم بهذه الطريقة الخبيثة ، وهم - في واقع الأمر -

مدفوعون لهذه التصرفات إرضاءً لسادتهم من المستشرقين والأجانب .

يقول الأستاذ أحمد محمد شاكر – مشيرًا إلى هذا : أما في عصرنا ؛ فقد نابت نوائب ، ونبتت نوابت ممن استُعْبدوا لآراء المبشرين وأهوائهم ، وممن جهلوا لغة العرب إلا كلام العامة وأشباههم ، وجهلوا القرآن فلم يقرأوه ، ولا يكادون يسمعونه إلا قليلاً ، جهلوا السنة بل كانوا من أعدائها ، وممن سخروا من علم علماء الإسلام ، وسفهت أحلامهم ، ومردت ألسنتهم على قولة السوء في سلفنا الصالح من الصحابة والتابعين ومن بعدهم ، وعمدوا إلى تفسير القرآن ، لا أقول إن هؤلاء يفسرون القرآن بأهوائهم ، بل بأهواء سادتهم ومعلميهم من المبشرين

والمستعمرين أعداء الإسلام [1] ا.هـ .

ب – الجهل والتعالم :

وذلك أن الإنسان عدو ما يجهل ، فإذا اعتقد بشيء غير صحيح دافع عنه ، واستمات في التمسك به ، فإذا عورض ونُصح تطاول باللسان على مخالفه ، وادَّعى أن ما لديه صوابًا لا يحتمل الخطأ ، وما لدى غيره خطأ لا يحتمل الصواب .

ومن هذا القبيل : ما نقرأه في بعض الجرائد والمجلات بأقلام بعض المعاصرين من أن الحجاب لا أصل له في الشرع ، وتأويل الآيات الواردة في هذا الشأن بما

(١) عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير – اختصار وتحقيق أحمد محمد شاكر (٤٦/١) بالهامش – بتصرف يسير – بدون تاريخ أو اسم مطبعة .

يتفق وهوى الكُتَّاب ، وما يدَّعيه بعضهم من أن الإيمان برسول اللّه محمد ﷺ ليس شرطًا في دخول الجنة ، فالجنة سيدخلها اليهودي والنصراني كما يدخلها المسلم ، إلى غير ذلك من أقوال يدفع إليها الجهل ، وإن حمل أصحابها أرقى الدرجات العلمية ، والمراتب الدنيوية .

هذا في الوقت الذي يصف فيه هؤلاء معارضيهم من أهل العلم بأنهم ذوو عمائم خشبية .

جـ – التعصب :

وذلك أن الإنسان قد يتبنى رأيًا فقهيًّا يترجح صوابه لديه ، أو ينضوي تحت راية أو حزب يدعو إلى اللّه من خلاله ، وهذا – من حيث المبدأ – لا غبار عليه ، بشرط مراعاة

آداب الإسلام الداعية إلى أن يكون المؤمنون جميعًا بعضهم أولياء بعض ، بغض النظر عن انتماءاتهم الحزبية ، أو توجهاتهم المذهبية .

لكن الملاحظ أن كثيرًا من الخلافات – ومن ثمَّ وقوع التطاول – سببه هذا التعصب [1] ، فكم رأينا أتباعًا لمذاهب فقهية ، أو حركات إسلامية ينال بعضهم من بعض ، حتى إنه لو أخذنا بكلام كل واحد منهم في مخالفه لما صحَّ لنا من دين اللّه شيء .

د – العجب والكبر :

وهذان أمران نفسيان يُبتلى بهما البعض ، فيبدو مُعْجَبًا برأيه ، متجاهلاً آراء الآخرين ،

(١) بينت في بحثي « أدب الاختلافات الفقهية مدخل إلى ترشيد الصحوة الإسلامية » الآثار السلبية للتعصب ، وأيدتها بالأمثلة الكثيرة ، مما أغنى عن إعادتها مرة ثانية هنا .

ناظرًا إلى أصحابها بشزر ، ويحمله ذلك - غالبًا - على التطاول على غيره ، والتنقص منهم ، وفي الحديث : « الكبر بطر الحق ، وغمط الناس »[١] أي : احتقارهم وازدراؤهم .

وفي بيان التلازم بين هاتين الصفتين وبين التطاول يقول الحافظ ابن رجب الحنبلي : - « من علامات العلم النافع أن صاحبه لا يدَّعي العلم ، ولا يفخر به على أحد ، ولا ينسب غيره إلى الجهل ، إلا من خالف السنة وأهلها ؛ فإنه يتكلم فيه غضبًا للّه لا غضبًا لنفسه ، ولا قصدًا لرفعتها على أحد .

وأما من علمه غير نافع ؛ فليس له شغل سوى التكبر بعلمه على الناس ، وإظهار

(١) أخرجه مسلم (٩٣/١) كتاب الإيمان - باب تحريم الكبر وبيانه والترمذي بنحوه (٣٦١/٤) كتاب البر والصلة - باب ما جاء في الكبر .

فضل علمه عليهم ، ونسبتهم إلى الجهل ، وتنقصهم ليرتفع بذلك عليهم ، وهذا من أقبح الخصال وأردأها .

وربما نسب من كان قبله من العلماء إلى الجهل والغفلة والسهو ، فيوجب له حب نفسه ، وحب ظهورها إحسان ظنه بها ، وإساءة ظنه بمن سلف[١] . اهـ .

هـ - الحسد والغَيْرة :

في بعض الأحيان ينبعث التطاول من العلماء أنفسهم ، ومن دوافعه التحاسد والغيرة ؛ إذ قد يفتح اللّه على بعض أهل العلم بشيء يعجز الآخرون عنه ، أو يسمو إلى

(١) فضل علم السلف على الخلف (٥٦ - ٥٧) ابن رجب الحنبلي - طبعة أولى سنة ١٩٨٦ م - دار عمار - الأردن .

درجة تمنوها لأنفسهم فلم يدركوها ، فينشأ لديهم الحسد ، وتتولد في نفوسهم الغيرة ، ويستطيلون بألسنتهم في حق غيرهم .

وقد يتسرب داء الحسد إلى نفوس العامَّة من الناس تجاه أهل العلم - أيضًا - وذلك إذا رأوا الناس يلتفون حول العلماء ، ويسمعون لكلامهم ، ويطيعون لتوجيهاتهم ، فتتطلق ألسنتهم بالانتقاص من قدرهم ، والحط من شأنهم .

وفي الإشارة إلى ما سبق يقول الفضيل ابن عياض رحمه الله : ما من أحد أحب الرياسة إلا حسد وبغى ، وتتبع عيوب الناس ، وكره أن يُذْكر أحد بخير[١] .

(١) جامع بيان العلم وفضله (١٤٣/١) ابن عبد البر .

و - ميل بعض العلماء إلى الدنيا ، وركونهم إلى الحكام :

يسيء إلى مجتمع العلماء ما يُرى في سلوك بعضهم من تعلُّقٍ بالدنيا إلى درجة الشغف بها ، والركون إلى أصحاب السلطة ، يفتونهم بما وافق أهواءهم ، لنيل الحظوة عندهم ، وتحصيل شيء من دنياهم وإذا رأى الناس قدوتهم على هذه الصفة أسقطوهم من أعينهم ، وتطاولوا عليهم بألسنتهم ، وربما أساءوا إلى كل العلماء وتطاولوا عليهم دون تفريق بينهم .

يقول الصحابي الجليل عبد اللّه بن مسعود رضي الله عنه : « لو أن أهل العلم صانوا علمهم ، ووضعوه عند أهله ؛ لسادوا به أهل زمانهم ، ولكنهم بذلوه لأهل الدنيا

لينالوا به من دنياهم فهانوا على أهلها [١] .

ويقول حبر الأمة وترجمان القرآن عبد اللّه بن عباس ﷺ : لو أن حملة العلم أخذوه بحقه وما ينبغي ، لأحبهم اللّه ، وملائكته ، والصالحون ، ولهابهم الناس ، ولكن طلبوا به الدنيا ؛ فأبغضهم اللّه ، وهانوا على الناس [٢] .

ويقول الإمام الشافعي ﷺ : من لم يصن نفسه لم ينفعه علمه [٣] .

(١) جامع بيان العلم وفضله (٢٢٩/١) - ابن عبد البر .
(٢) نفس المرجع (٢٣١/١) .
(٣) مفتاح دار السعادة (١٦٥/١) ابن القيم .

١٠ - ملامح عامّة في سبيل العلاج

بعد أن عرفنا الأسباب المؤدية إلى التطاول على أهل العلم أضع بعضًا من الملامح العامة التي يُرجى أن تؤتى ثمرتها في علاج هذه المشكلة .

أ - إن الإنسان إذا اشتهر بين الناس بالزهد والصلاح وتحريه للحلال ، وعُرف عنه الورع والتحفظ ، لا يغنيه ذلك شيئًا إذا أطلق العنان للسانه ليتطاول على عباد اللّه ، وينال من مكانتهم .

يقول الإمام ابن القيم ﷺ : ومن العجب أن الإنسان يهون عليه التحفظ والاحتراز من أكل الحرام والظلم والزنا والسرقة وشرب الخمر ، ومن النظر المحرم ، وغير ذلك ، ويصعب عليه التحفظ من حركة لسانه ،

حتى ترى الرجل يشار إليه بالدين والزهد والعبادة وهو يتكلم بالكلمات من سخط اللّه لا يلقى لها بالاً ، ينزل بالكلمة الواحدة منها أبعد مما بين المشرق والمغرب ، وكم ترى من رجل متورع عن الفواحش والظلم ولسانه يفري [١] في أعراض الأحياء والأموات ، ولا يبالي ما يقول [٢] .

ويقول سفيان بن عيينة ﷺ : لو أن رجلاً أصاب من مال رجل شيئًا فتورَّع عنه بعد موته ، فجاء به إلى ورثته ؛ لكنا نرى ذلك كفارة له ، ولو أن رجلاً أصاب من عرْض رجل شيئًا فتورع عنه بعد موته ، فجاء به إلى ورثته وإلى جميع أهل

(١) يفري : من (الفرَى) وهو اختلاق الشيء وادِّعاؤه .
(٢) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (١٩٧) طبعة ثانية سنة ١٩٨٩ م مطبعة المدني بمصر - بتحقيق د/ محمد جميل غازي .

الأرض فجعلوه في حلٍّ ؛ ما كان في حلٍّ ؛ فَعرْضُ المؤمن أشد من ماله [١] .

فهل بعد هذا يستبيح الإنسان لنفسه أن يتطاول على عبدٍ من عباد اللّه ، عالمًا كان هذا العبد أو غير عالم ؟

ب - إن اندفاع الإنسان إلى إبراز عيوب غيره ، والانتقاص من قدرهم ، والتطاول عليهم ينمُّ عن علل وأمراض في الشخص المتطاول ، وكلما زادت فيه هذه العلل زاد من انتقاص غيره .

ولقد أورد ابن قتيبة في كتابه « عيون الأخبار » أن أحد الحكماء رأى رجلاً يعيب غيره فقال له : -

(١) حلية الأولياء (٢٨٣/٧) أبو نعيم - طبعة رابعة سنة ١٩٨٥ م - دار الكتاب العربي - بيروت .

قد استدللت على كثرة عيوبك بما تكثر من عيب الناس ؛ لأن الطالب للعيوب إنما يطلبها بقدْر ما فيه منها .

وأورد قول الشاعر - دليلاً على نفس المعنى : -

وأجرأ من رأيت بظهر غيب
على عيب الرجال ذوو العيوب [1]

وإذا فقه المرء هذا المعنى ؛ تحاشى الوقوع في غيره ؛ لأن سهام التطاول سَتُرَدُّ إليه ، ويقع فيما حاول إلصاقه بغيره .

جـ - أن الإسلام - وإن كان يعلي من قدر العلم ، ويرفع من مكانته - إلا أنه يدعو إلى الالتزام بما يقتضيه هذا العلم من

(١) عيون الأخبار (١٨/٢) طبعة أولى سنة ١٩٨٦ م - دار الكتب العلمية - بيروت .

آداب بدرجة تفوق الدعوة إلى العلم النظري المجرد .

يقول إبراهيم بن أدهم : إن أحدكم إلى أدب حسن أحوج منه إلى خمسين حديثًا [1] .

وأشرف الإمام الليث على أصحاب الحديث فرأى منهم شيئًا ، فقال :

أنتم إلى يسير من الأدب أحوج منكم إلى كثير من العلم [2] .

ومن هذه الآداب - بالطبع - : عفَّه اللسان ، وصيانته عن التطاول على الغير .

فما أحرى أن يتفهم أهل العلم هذا المعنى ،

(١) الجامع لأخلاق الراوي ، وآداب السامع (٢٠١/١) الحافظ الخطيب البغدادي - طبعة سنة ١٩٨٣ م - مكتبة المعارف - الرياض - بتحقيق الدكتور محمود الطحان .
(٢) المرجع السابق (٤٠٥/١) .

فيكفوا ألسنتهم عن الوقوع في غيرهم أداء لحق العلم ، وقيامًا بما يمليه عليهم .

د - وتبقى جوانب أخرى تتعلق بكل سبب من أسباب التطاول التي مرَّ ذكرها ، وها نحن نشير إليها بإجمال .

- فالذين يتطاولون على العلماء كراهية للإسلام الذي يدعون إليه ، وبغضًا للحق الذي ينادون به ، يحتاج الأمر معهم إلى معرفة السبب الذي لأجله يكره هؤلاء الإسلام ، ويكرهون الحق ، ويتم التصحيح على ضوء هذا ، ويُذَكَّرُون بخطورة موقفهم وضرره عليهم في الدنيا والآخرة ، فإن أصرُّوا على مواقفهم ؛ فلنقل لهم مثل ما قال نبي اللّه صالح عليه السلام لقومه : ﴿ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ

ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ [1] .

- وإن كان التطاول سببه الجهل والتعالم فإننا نلفت النظر إلى خطورة أن يتصدر المرء في دين اللّه ، وبضاعته من العلم الشرعي ضعيفة أو معدومة ، وذلك في الدنيا والآخرة ؛ ففي الدنيا يقع الفساد والإفساد ، كما أخبر بذلك النبي ﷺ في الحديث السابق ذكره « . . . حتى إذا لم يُبْقِ عالمًا اتخذ الناس رءوسًا جهالاً ، فسئلوا ، فأفتوا بغير علم ، فضلوا وأضلوا » [2] .

وينقل الإمام ابن تيمية عن أحد العلماء [3] قوله :

(١) سورة الأعراف الآية (٧٩) .
(٢) سبق تخريجه .
(٣) لم يذكر الإمام ابن تيمية اسم هذا العالم .

« أكثر ما يفسد الدنيا : نصف متكلم ، ونصف متفقه ، ونصف متطبب ، ونصف نحوى . هذا يفسد الأديان ، وهذا يفسد البلدان ، وهذا يفسد الأبدان ، وهذا يفسد اللسان » [١] .

وفي الآخرة يبوء المرء – الذي يُضِلُّ غيره بسبب جهله وقلة علمه – بإثم نفسه وإثم غير ، ففي الحديث : « من دعا إلى هدى ؛ كان له من الأجر مثل أجور من تبعه ، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا ، ومن دعا إلى ضلالة ؛ كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه ، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا » [٢] .

وإذا علم المرء ذلك اتهم نفسه بالقصور ،

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (١١٨/٥) .
(٢) أخرجه مسلم (٢٠٦/٤) كتاب العلم – باب من سن سنة حسنة أو سيئة ، ومن دعا إلى هدى أو ضلالة .

وتولد في نفسه دافع التعلم ، والرغبة في المزيد منه ، وذلك بدلاً من ادِّعاء العلم ، والتظاهر به ، والتطاول على الآخرين .

– وإن كان التطاول سببه التعصب ، فمن الضروري أن يفهم أصحابه أن الاختلاف في الفروع وفيما هو محلٌّ للاجتهاد يستوي فيه الأخذ برأي هذا العالم أو ذاك ، وقد اختلف الأئمة السابقون في مثل هذه الفروع ، لكن اختلافهم لم يتطرق إلى قلوبهم وعلائقهم ، بل صانوا الحرمات ، وحفظوا ألسنتهم من التطاول على غيرهم ، وتركوا لنا تراثًا قيمًا حول أدب الاختلاف في الإسلام .

والخير كل الخير في أن نقتفي أثر هؤلاء السلف ، فنتسامى عن التعصب ، ونتعالى

على التفرق .

يضاف إلى ذلك أن التعصب فوق أنه يفرِّق بين المسلمين ؛ يشوِّه جمال الإسلام ، ويبعث على التردد والحيرة في نفوس الراغبين فيه ، حين ينظرون فيجدون المسلمين أشتاتًا متناكرين ، فلا يعرفون أي جهة يتجهون .

وإذا كان التطاول سببه العجب والكبر ؛ فإن من المفيد في علاج هذا أن نذكر بما ورد من أحاديث تبين خطورة الاتصاف بهذه الأوصاف – حتى وإن لم تدفع صاحبها إلى التطاول على الغير – ففي الحديث : « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرَّة من كبر » [١] .

(١) أخرجه مسلم (٩٣/١) كتاب الإيمان – باب تحريم الكبر وبيانه ، والترمذي بنحوه (٣٦٠/٤) كتاب البر والصلة – باب ما جاء في الكبر .

والسلف الصالح يؤكدون على أن الإنسان إذا خلا عن التواضع وخفض الجناح للمؤمنين ، وتسرَّب إليه داء العجب ؛ فلن ينفعه حينئذ علمه ، وإن كان علمه هذا يملأ ما بين السماء والأرض .

أورد ابن عبد البر في كتابه « جامع بيان العلم وفضله » [١] عن كعب أنه قال لرجل رآه يتتبع الأحاديث : اتق اللّه ، وارض بالدون من المجلس ، ولا تؤذ أحدًا ؛ فإنه لو ملأ علمك ما بين السماء والأرض مع العجب ؛ ما زادك اللّه به إلا سفالاً ونقصانًا . أ.هـ .

إذا اتضح للمسلم ذلك ، شغله عيبه عن عيوب الناس ؛ فإنه لا يخلو أحد منا من عيب في نفسه هو منه على يقين ، فلينشغل

(١) المرجع المذكور (١٤٢/١) .

به عن عيوب يراها في الآخرين ، وربما كان سنده في اتهام الآخرين الظنون والشكوك ، ففي ذلك ما يحمل على ترك الإعجاب بالنفس والتكبر على الغير ، وفي ذلك يقول الشاعر : -

يمنعني من عيب غيري الذي
أعرفه عندي من العيب
عيبي لهم بالظن مني لهم
ولست من عيبي في ريب

- وإن كان التطاول ينبعث من العلماء في بعضهم البعض بسبب التحاسد والغيرة فهذا مِعْولٌ يستخدمه العالمُ ضد نفسه ، يُنزل به من قيمته ، ويحطُّ به من قدره ، إذ أنه منوط به إصلاح غيره ، فكيف إذا تسرَّب إليه الفساد ؟ .

والحسد صفة قبيحة ينبو عن الاتصاف بها أهل العلم المخلصون .

يقول الصحابي الجليل عبد اللّه بن عمر رضي الله عنهما : « لا يكون الرجل عالمًا حتى لا يحسد من فوقه ، ولا يحقر من دونه » [١] .

ويؤكد السلف الصالح على أن من واجب العالم أن يحب غيره من أهل العلم - لا أن يحسدهم - وأن يكون الحق مرجعهم جميعًا ، وألاَّ يتحول إلى لعَّان طعَّان ، فيفقد بذلك قوامته على الخلق ، ويسري الفساد إلى كافة الأرجاء .

يقول أبو الدرداء رضي الله عنه : إنكم لن تزالوا بخير ما أحببتم خياركم ، وقيل فيكم بالحق

(١) سنن الدارمي (٨٨/١) - دار الكتب العلمية - بيروت - بدون تاريخ .

فعرف ، ويل لكم إذا كان العالم فيكم كالشاة النطيح [١] .

وإذا كان الحسد من العامَّة لأهل العلم على ما بوَّأهم اللّه من مكانة فليعتبروا هذا ابتلاء يحتسبون فيه الأجر عند اللّه ، ويسألون اللّه الهداية لصاحبه ، وقد ذكر لنا ربنا في القرآن الكريم - على سبيل العبرة والعظة - ما كان من أمر اليهود حين حسدوا رسول اللّه ﷺ على ما رزقه اللّه من النبوة ، وكونهم لم يصدِّقوا به ؛ لأنه ليس من بني إسرائيل ، فقال تعالى ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ . . . ﴾ [٢] .

فليس أحد أكرم على اللّه من رسوله ،

(١) حلية الأولياء (٢٨٣/٧) - طبعة رابعة سنة ١٩٨٥ م - دار الكتاب العربي - بيروت .
(٢) سورة النساء (٥٤) .

وقد حدث له ما حدث ، فليكن لأهل العلم في رسولهم ﷺ قدوة حسنة في الصبر على حسد الآخرين لهم ، واحتساب الأجر على ذلك عند اللّه .

- وإذا كان التطاول على أهل العلم بسبب ميل بعض العلماء إلى الدنيا ، وميلهم إلى الحكام ؛ فإن الناس - فيما أرى - معذورون إذا انطلقت ألسنتهم بالذمِّ على من يفعل ذلك ، ولا يلومن العلماء - حينئذ - إلا أنفسهم .

وعلى أهل العلم أن يراجعوا أنفسهم في مثل هذه المواقف ، ويقدِّروا أن نعمة العلم التي أوتوها لا تعدلها نعمة ، في حين أن الدنيا لا تزن عند اللّه جناح بعوضة ، وأن الأصل أن يكون الحاكم والأمراء تابعين لهم

وليس العكس ، وأن مشاعر الناس إنما تتجاوب مع العالم الذي يسخر العلم لخدمة دينه وأمته ، لا الذي يسخره لخدمة نفسه ، فهذا - الأخير - يلفظونه ، ويبغضونه ، ويتطاولون عليه ﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴾ (١) .

(١) سورة النحل (٣٣) .

١١ - كيف نتعامل مع أخطاء العلماء ؟

شأن العلماء كشأن سائر الخلق - غير الرسل والأنبياء - يصيبون ويخطئون ؛ لأنهم ليسوا معصومين ، وهم بشر كسائر البشر .

ومع إقرارنا بإمكانية ورود الخطأ من العلماء ، فإن ثمة منهجًا ينبغي أن يُتَبع ، ويمكن تحديد خطوات هذا المنهج في النقاط التالية : -

أ - وجوب التثبت مما ينسب لأهل العلم من أخطاء .

ب - ضرورة تحديد نوع الخطأ ، والتعامل معه بقدر حجمه دون تجاوز .

جـ - أهمية الموازنة بين الإيجابيات والسلبيات .

ونعود بعد هذا الإجمال إلى تفصيل كل نقطة منها على حدة .

أ - وجوب التثبت مما ينسب لأهل العلم من أخطاء :

وتبدو أهمية هذا الأمر في أن أحدًا من الناس لم يخل من كلام الآخرين فيه ، حتى يُدَّعى - أحيانًا - على المرء ما ليس فيه ، ويتهم بما هو منه بريء .

وإذا عُرف هذا وجب على المرء التثبت والتبين مما يُنْسَبُ لأهل العلم من أخطاء ، وألا نكون أُذُنًا لقالة السوء ، فنكون شركاء في الإثم ، وقد قال اللّه تعالى : ﴿ وَمَن يَكۡسِبۡ خَطِيٓـَٔةً أَوۡ إِثۡمٗا ثُمَّ يَرۡمِ بِهِۦ بَرِيٓـٔٗا فَقَدِ ٱحۡتَمَلَ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ﴾ (١) .

وعلماء الإسلام يؤكدون كثيرًا على هذه

(١) سورة النساء : (١١٢) .

الحقيقة ، وإليك بعض كلامهم : -

أ - يقول الإمام السبكي : -

« الصواب من ثبتت إمامته وعدالته ، وكثر ما دحوه ومزكوه ، وندر جارحوه ، وكانت هناك قرينة دالة على سبب جرحه من تعصب مذهبي أو غيره ، فإنا لا نلتفت إلى الجرح فيه ونعمل فيه بالعدالة ، وإلا فلو فتحنا هذا الباب ، وأخذنا تقديم الجرح على إطلاقه ؛ لما سلم لنا أحد من الأئمة ؛ إذ ما من إمام إلا وقد طعن فيه طاعنون ، وهلك فيه هالكون » (١) .

ب - وقال ابن جرير الطبري : - « لو كان كلُّ من ادُّعي عليه مذهب من المذاهب

(١) قاعدة في الجرح والتعديل (ص ١٣) - بتحقيق عبد الفتاح أبو غدة - طبعة سنة ١٩٨٣ م المكتبة العلمية - لاهور - باكستان .

الرديئة ثبت عليه ما ادُّعي به ، وسقطت عدالته ، وبطلت شهادته بذلك ، للزم ترك أكثر محدِّثى الأمصار ؛ لأنه ما منهم إلا وقد نسبه قوم إلى ما يرغَبُ به عنه [١] .

والأقوال في مثل هذا كثيرة [٢] .

وإذا كان المُتكَلَّم فيه من القدامى ، فدوننا كتبه ورسائله نتعرَّف عليه من خلالها ، ونحكم - بناء على ذلك - له أو عليه .

وسأضرب هنا بعض الأمثلة لبيان أهمية هذا الاحتكاك المباشر في تصويب النظر إلى الآخرين .

---

(١) هدي الساري مقدمة فتح الباري ص : ٤٢٨ ابن حجر العسقلاني .

(٢) راجع « منهج أهل السنة والجماعة في تقويم الرجال ومؤلفاتهم » ص : ٤٤ - ٤٧ أحمد بن عبد الرحمن الصويان ، طبعة أولى سنة ١٤١٠ هـ دار الوطن للنشر - الرياض .

١ - عن محمد بن سماعة قال : كان عيسى بن أبان حسن الوجه وكان يصلي معنا - أي في المسجد الذي يصلي فيه الإمام محمد ابن الحسن الشيباني ويقعد فيه لمجلس الفقه - وكنت أدعوه أن يأتى محمد بن الحسن .

فيقول - أي عيسى بن أبان - : هؤلاء قوم يخالفون الحديث .

وكان عيسى حسن الحفظ للحديث .

فصلى معنا يومًا الصبح - وكان يوم مجلس محمد - فلم أفارقه حتى جلس في المجلس ، فلما فرغ محمد ؛ أدنيته إليه ، وقلت : هذا ابن أخيك أبان بن صدقة الكاتب ، ومعه ذكاء ومعرفة بالحديث ، وأنا أدعوه إليك فيأبى ، ويقول : إنا نخالف الحديث .

فأقبل عليه - محمد بن الحسن - وقال له : يا بني ، ما الذي رأيتنا نخالفه من الحديث ؟ لا تشهد علينا حتى تسمع منا .

فسأله يومئذ عن خمسة وعشرين بابًا من الحديث ، فجعل محمد بن الحسن يجيبه عنها ، ويخبره بما فيها من المنسوخ ، ويأتي بالشواهد والدلائل .

فالتفت - أي عيسى بن أبان - إليَّ بعد ما خرجنا ، فقال : كان بيني وبين النور ستر فارتفع عني ، ما ظننت أن في ملك اللّه مثل هذا الرجل يظهره للناس .

ولزم محمد بن الحسن لزومًا شديدًا حتى تفقه به [١] .

---

(١) تاريخ بغداد (جـ ١١ - ص ١٥٨) الحافظ الخطيب البغدادي - طبع المكتبة السلفية - المدينة المنورة - بدون تاريخ .

٢ - فيما قرأت أن بعض الأشخاص اعتاد أن يطعن في إمام من أئمة الحركة الإسلامية وقادة نهضتها ، وينتقص من قدره كلما ذُكِرَ اسمه . وعندئذٍ لجأ بعض الأذكياء إلى حيلة استل بها هذه العاده من جذورها .

لقد انتخب هذا الشخص الذكي مؤلَّفًا من مؤلفات هذا الإمام ، وانتزع الغلاف ، بحيث لا يُعْرَف لَمن الكتاب وطلب من زميله أن يقرأ ، ويعطيه تقريرًا عنه .

ولقد شدَّ الكتاب هذا الأخ ، وأقبل عليه بنهم شديد يطالع صفحاته ، ويتابع سطوره ، وفي النهاية أعرب عن تقديره للكتاب ومؤلفه ، وشكر زميله على ما قدَّمه له من علم نافع .

وهنا أبرز له صديقه كنه مؤلف الكتاب ، وأنه

نفسه الذي يتطاول عليه ، وينتقص من قدره .

وعندئذ اعتذر هذا الشخص عمَّا كان يصنعه ، وتاب إلى اللّه وأناب .

ونستخلص من هذين المثالين - وغيرهما - أن من الواجب التحرِّي والتثبت ، وعدم إلقاء الكلام على عواهنه ؛ فإن الناس من عادتها أن تتزيد في الكلام ، وربما لا يكون له أصل بالمرة .

وإنما تنكشف المسائل ، ويظهر الحق بالاحتكاك المباشر ، ومعرفة الناس عن قرب لا عن سماع أو ظن .

ب - ضرورة تحديد نوع الخطأ ، والتعامل معه بقدر حجمه دون تجاوز : -

سبق أن بيَّنَّا أن العالم ليس معصومًا ،

ومن ثمَّ يمكن ورود الخطأ منه وتبيان الأخطاء ، وتحذير الناس منها ، وإعطاء الأدلة على بطلانها أمرٌ لابدَّ منه ، فمهما كان المخطئ حبيبًا إلينا ، فإن الحق أحبُّ إلينا منه .

ولكن ثمة ملاحظات مهمة ينبغي التنبه لها في هذا المجال ، وهي كالآتي : -

أ - أن نفرِّق بين خطأ العالم في الفروع ، وخطئه في الأصول « العقائد » .

ذلك أن الفروع مجال للاجتهاد ، والمجتهد إن أصاب فله أجران ، وإن أخطأ فله أجر .

فإذا أمكن الوقوف على خطأ في هذه الفروع دُلَّ عليه العالمُ برفق ، ولا ينبغي التطاول أو التجاوز على من خالف غيره فيها .

يقول الإمام أبو حامد الغزالي : - « المجتهدون ومقلدوهم كلهم معذورون ،

بعضهم مصيبون ما عند اللّه ، وبعضهم يشاركون المصيبين في أحد الأجرين ، فمناصبهم متقاربة ، وليس لهم أن يتعاندوا ، وأن يتعصب بعضهم مع بعض ، لاسيما والمصيب لا يتعين ، وكل واحد منهم يظن أنه مصيب ، كما لو اجتهد مسافران في القبلة فاختلفا في الاجتهاد ، فحقهما أن يصلي كل واحد منهما إلى الجهة التي غلبت على ظنه ، وأن يكف إنكاره وإعراضه واعتراضه على صاحبه ؛ لأنه لم يُكَلَّف إلا استعمال موجب ظنه . . . [1] .

وقد أسهبت في شرح هذه القضية في بحثي « أدب الاختلافات الفقهية مدخل إلى

(١) القسطاس المستقيم (ص ٧٨) - سلسلة الثقافة الإسلامية - تصدر في مصر - العدد ٣٧ - سنة ١٩٦٢ م .

ترشيد الصحوة الإسلامية » فليرجع إليه من أراد المزيد .

وإن كان خطأ العالم في الأصول ؛ وجب تبيان الحق والصواب دون مجاملة ، ويتمُّ التحذير من البدع وأهلها بصفة عامَّة ، دون إفراط أو تفريط .

٢ - أن نحذر من المبالغة في المدح أو القدح .

ذلك أن بعض الناس يتعامل مع من يحب من منطلق الإغراق في الحب ، فيؤول له كلماته ، ويبرر له أخطاءه .

وآخرون يتعاملون مع مخالفيهم من منطلق الإغراق في القدح ، فتراه يتجاوز موضع الخطأ إلى التشنيع ، والاستطالة باللسان على مخالفه في عِرْضه وأهله وكلا الطرفين مذموم .

والأسلوب الأمثل في مثل هذا أن نبيِّن الخطأ في إطار من الأدب ، بعيدًا عن التعصب الحزبي ، والتقليد المذهبي ، مجردًا من الانفعالات والتشنجات التي يتعامل بها بعضنا مع مخالفيهم .

يقول الإمام ابن تيمية مشيرًا إلى هذا المنهج الوسط في كشف أخطاء العلماء : لا نعتقد في القوم العصمة - يقصد الأئمة - بل نجوِّز عليهم الذنوب ، ونرجوا لهم - مع ذلك - أعلى الدرجات ؛ لما اختصهم الله به من الأعمال الصالحة ، والأحوال السنية ، وأنهم لم يكونوا مصرِّين على ذنب . . . ثم إننا - مع العلم بأن التارك الموصوف [1] معذور ، بل مأجور - لا يمنعنا

(١) كلام الإمام ابن تيمية فيمن ترك العمل ببعض الأحاديث .

أن نتبع الأحاديث الصحيحة ، التي لا نعلم لها معارضًا يدفعها ، وأن نعتقد وجوب العمل بها على الأمة ، ووجوب تبليغها ، وهذا مما لا يختلف العلماء فيه » [1] . ا.هـ .

جـ - أهمية الموازنة بين الإيجابيات والسلبيات :

سبقت الإشارة إلى أن أي إنسان - مهما كانت منزلته - معرَّضٌ للخطأ والصواب ، وأن تبيان الأخطاء ينبغي أن ينضبط وفق منهج متوازن ، لا إفراط فيه ولا تفريط .

لكننا ابتلينا ببعض قاصري الفهم ، ممن دأبوا على إذاعة الأخطاء ، والطيران بها إلى كل مكان ، في الوقت الذي يدفنون فيه حسنات أهل العلم ، ويغضُّون الطرف عنها .

يقول الشاعر : -

(١) رفع السلام عن الأئمة الأعلام (ص ٥٣ - ٥٤) .

إن يسمعوا الخير يخفوه وإن سمعوا
شرًّا أذاعوه وإن لم يسمعوا كذبوا

ويقول النسَّابة البكري - في تعريفه لأعداء المروءة : بنو عمِّ السوء ، إن رأوْا حسنًا ستروه ، وإن رأوا سيئًا أذاعوه [1] .

ومثل هذا الأسلوب يتنافى مع منهج القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، وأقوال وأفعال السلف الصالح .

ويتلخص المنهج السديد المقتبس من هذه المصادر في ضرورة الاعتراف بالفضل لأصحابه ، وأن ننظر إلى أقوال العلماء بعين الإنصاف ، فما كان منها موافقًا للحق قبلناه والتزمنا به ، وما كان منها خطأ أعرضنا عنه ، ولا يحملنا على ترك ما سواه ، بل تتلاشى هذه

(١) مفتاح دار السعادة (جـ ١ - ص ١٦٨) ابن القيم .

الأخطاء وتذوب في محيط الحسنات .

وإليك بعض ما يدلنا على هذا المنهج من الكتاب والسنة

وأقوال الأئمة :

١ - يقول الله تعالى في حديثه عن أهل الجنة :

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴾ [1] .

وفي الآية الكريمة تعليم لنا وإرشاد إلى أن أهل الجنة لما عظمت حسناتهم وكثُرت لم يمنعهم من دخول الجنة بعض ما اقترفوه من سيئات ، بل تجاوز الله عنها ، وسكت عن

(١) سورة الأحقاف (١٦) .

مؤاخذتهم بها ، فلعلَّنا نتأمل هذا المعنى ونتعامل به فيما بيننا .

٢ - قول النبي ﷺ لأبي هريرة ﷺ وقد جعله أمينًا على الصدقات ، فكان الشيطان يسرق منه ، فلما أمسك به دعاه أن يطلقه ويعلمه شيئًا يحفظه من الشياطين ، فعلمه أن يقرأ آية الكرسي في كل ليلة ، فقال النبي ﷺ له : « صدقك وهو كذوب ، ذاك شيطان » [١] .

والشاهد أنه ﷺ أثبت صدق الشيطان في هذه القضية رغم أن عامَّة أحواله الكذب ، وهذا من قبيل الإنصاف والعدل حتى مع أعدى الأعداء .

٣ - وأقوال الأئمة وأحوالهم في هذا

(١) الحديث أخرجه البخاري (١٥٠/٢) كتاب بدء الخلق - باب صفة إبليس وجنوده .

لا تحصر ، ونتخير منها بعضها .

فمن أقوالهم في هذا الشأن : -

أ - **قول محمد بن سيرين** : ظلمٌ لأخيك أن تذكر منه أسوأ ما تعلم ، وتكتم خيره [١] .

ب - **قول سعيد بن المسيب** : إنه ليس من شريف ولا عالم ولا ذي فضل إلا وفيه عيب ، ولكن من الناس من لا ينبغي أن تُذكِّر عيوبه . وقال : من كان فضله أكثر من نقصه ؛ وهب نقصه لفضله [٢] .

جـ - **قول الإمام ابن القيم** : . . ومن له علمٌ بالشرائع والواقع يعلم قطعًا أن الرجل الجليل الذي له في الإسلام قدم صالح وآثار

(١) البداية والنهاية (٢٧٥/٩) الحافظ ابن كثير - طبعة سنة ١٩٧٨ م - دار الفكر .
(٢) نفس المرجع (١٠٠/٩) .

حسنة ، وهو من الإسلام وأهله بمكان ، قد تكون منه الهفوة والزلَّة هو فيها معذور بل مأجور لاجتهاده ، فلا يجوز أن يتبع فيها ، ولا يجوز أن تهدر مكانته وإمامته ومنزلته في قلوب المسلمين [١] .

وللسلف الصالح مواقف طيبة في إنصاف مخالفيهم ، نذكر بعضها تدعيمًا لما ذكرناه من قبل .

١ - **يقول الإمام الذهبي في بيان درجة إحياء علوم الدين ومؤلفه الإمام الغزالي** : وأمَّا الإحياء : ففيه من الأحاديث الباطلة جملة ، وفيه خير كثير ، لولا ما فيه من آراء ورسوم وزهد من طرائق الحكماء ومنحرفي

(١) أعلام الموقعين (٢١٣/٣) - ابن قيم الجوزية - طبعة سنة ١٩٦٨ م - مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة .

الصوفية ، نسأل اللَّه علمًا نافعًا » [١] .

وقال الذهبي أيضًا : الغزالي إمام كبير ، وما من شرط العالم أنه لا يخطئ [٢] .

وقال كذلك : فرحم اللّه أبا حامد ، فأين مثله في علومه وفضائله ، ولكن لا ندَّعي عصمته من الغلط والخطأ [٣] .

٢ - ومن أمثلة الإنصاف الكلام الكثير الذي ذكره الإمام ابن القيم عن الإمام الهروي ، وهو يشرح كتابه « منازل السائرين » ولم يمنعه ذلك من مخالفته أحيانًا مع التزام الأدب في هذا الجانب بما يلفت النظر ، ومن أمثلة ذلك :

(١) سير أعلام النبلاء (٢٤/٩) .
(٢) نفس المرجع (٣٣٩/٩) .
(٣) نفس المرجع (٣٤٦/١٩) .

قول ابن القيم - وقد استدرك على الإمام الهروي بعض ألفاظه - : شيخ الإسلام - يعني الإمام الهروي كما يلقبه دائمًا - حبيبنا ، ولكن الحق أحب إلينا منه ، وكان شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ يقول : علمه خير من عمله . وصدق ﷺ فسيرته بالأمر المعروف والنهي عن المنكر ، وجهاد أهل البدع لا يشقُّ له فيها غبار . وله المقامات المشهورة في نصرة اللّه ورسوله ، وأبي اللّه أن يكسو ثوب العصمة لغير الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى ﷺ وقد أخطأ في هذا الباب لفظًا ومعنى [١] .

والأقوال والمواقف في هذا المجال كثيرة ، ولكني أكتفي بما ذكرت .

(١) مدارج السالكين (جـ ٣ - ص ٥٢١) .

والخلاصة أن من واجبنا نحن المسلمين أن نعرف الفضل لأهله ، ونسدي المعروف لمن جعلهم اللّه سببًا لهدايتنا وحفظ ديننا ، فإن أخطأ أحدهم ؛ كان الرفق وسيلتنا في نصحه وتوجيهه .

يقول الأستاذ محمد أحمد الراشد : إن العمل الإسلامي قائمٌ على معنى عبادي ، نحتسب فيه الأجر عند اللّه ، كقيام المصلين مع إمامهم في الصلاة ، يحتسبون فيه الأجر ، ويؤدون به عبادة مفروضة ، يحرصون على إجادة الإمام لإمامته ويعينونه على ذلك ، فإذا أخطأ نبهوه برفق يصلح ما أخطأ فيه ، لا تشهير معه [١] . أهـ .

(١) العوائق (ص ٢١٢ - ص ٢١٣) - طبعة ثانية سنة ١٩٨١ م - مؤسسة الرسالة - بيروت .

الخاتمة

بعد هذه الجولة السريعة التي استهدفت الحث على تكريم أهل العلم ، والبعد عن التطاول عليهم ، والتشهير بهم ، أرجو أن تحقق كلماتي هدفها ، فتثمر في سلوكنا - نحن المسلمين - حبًّا وتوقيرًا للمخلصين من أهل العلم - قدامى أو معاصرين - فإن من أحب قومًا حشر معهم .

ولنكن - إلى جانب ذلك - يقظين لكل من تسوِّل له نفسه هدم رموزنا الإسلامية ، والنيل من قممنا الشامخة ، فلا نلتفت إليهم ، فضلاً عن أن نتأثر بهم .

وطوبى لمن كان موقفه في هذا الأمر إيجابيًّا ، فشهر سلاحه في وجه المتطاولين على أهل العلم ، إما بتسخير قلمه ، أو

تسخير لسانه ، فإن من ردَّ عن عرْض أخيه ردَّ اللّه عن وجهه النار يوم القيامة .

وعلى أهل العلم أن يحرصوا على إعطاء القدوة الحسنة من أنفسهم حتى لا يعطوا فرصة لأحد كي يستبيح حرمتهم ، أو يتطاول عليهم ، وأن يصبروا على ما يبتلون به من ادِّعاءات أهل الباطل وأكاذيبهم .

وفقنا اللّه جميعًا لما يحبه ويرضاه ، وأعاننا على بره وتقواه ، وألَّف بين قلوب المسلمين على طاعته وهداه .

وآخر دعوانا أن الحمد للّه رب العالمين .

المؤلف
الدكتور طلعت محمد عفيفي
عميد كلية الدعوة - جامعة الأزهر

المراجعُ

- القرآن الكريم :

١ - إحياء علوم الدين - أبو حامد محمد ابن محمد بن محمد الغزالي - طبعة دار الشعب - القاهرة .

٢ - البداية والنهاية - الحافظ ابن كثير - طبعة سنة ١٩٧٨ م - مكتبة دار الفكر - بيروت .

٣ - تاريخ بغداد - الحافظ الخطيب البغدادي - طبع المكتبة السلفية - المدينة المنورة - بدون تاريخ .

٤ - التاريخ الكبير - الإمام محمد بن إسماعيل البخاري - طبع دار الكتب

العلمية - بيروت .

٥ - تعليم المتعلم طريق التعلم - الإمام برهان الإسلام الزرنوجي - نشر المكتبة الإسلامية - بشاور - باكستان - بدون تاريخ .

٦ - تفسير ابن كثير - طبعة عيسى الحلبي - القاهرة .

٧ - جامع بيان العلم وفضله - أبو عمر يوسف بن عبد البر - طبعة ثانية سنة ١٩٦٨ م - المكتبة السلفية بالمدينة المنورة .

٨ - الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع - الحافظ الخطيب البغدادي - طبعة سنة ١٩٨٣ م - مكتبة المعارف - الرياض

بتحقيق د/ محمد محمود الطحان .

٩ - الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي - ابن قيم الجوزية - طبعة ثانية سنة ١٩٨٩ م - مكتبة المدني بالقاهرة - بتحقيق د/ محمد جميل غازي .

١٠ - حلية الأولياء - الحافظ أبو نعيم الأصبهاني - طبعة رابعة سنة ١٩٨٥ م - دار الكتاب العربي - بيروت .

١١ - الذوق سلوك الروح - عباس السيسي - طبعة أولى سنة ١٤٠٧ هـ - نشر إحسان - طهران .

١٢ - رفع الملام عن الأئمة الأعلام - ابن تيمية - بتحقيق زهير محمد الشاويش -

طبعة ثانية سنة ١٩٨٤ م - المكتب الإسلامي- بيروت .

١٣ - سنن أبي داود - طبعة ثانية سنة ١٩٧٥ م - مطبعة مصطفى الحلبي - القاهرة .

١٤ - سنن الترمذي - طبعة ثانية سنة ١٩٧٥ م - مطبعة مصطفى الحلبي - القاهرة .

١٥ - سنن النسائي - طبعة أولى سنة ١٩٦٤ م - مطبعة مصطفى الحلبي - القاهرة .

١٦ - سنن ابن ماجه - طبعة سنة ١٩٧٢ م بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي -

مطبعة عيسى الحلبي - القاهرة .

١٧ - سير أعلام النبلاء - الحافظ الذهبي .

١٨ - صحيح البخاري - طبعة عيسى الحلبي - بدون تاريخ .

١٩ - صحيح مسلم - بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي - طبعة أولى سنة ١٩٥٦ م - مطبعة عيسى الحلبي .

٢٠ - الطبقات الكبرى - ابن سعد - طبعة دار صادر - بيروت .

٢١ - العلم بين العالم والمتعلم - جاسم محمد مهلهل - طبع وزارة العدل والشئون الإسلامية بدولة الإمارات .

٢٢ - عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير - أحمد شاكر - بدون تاريخ أو اسم مطبعة .

٢٣ - العوائق - محمد أحمد الراشد - طبعة ثانية سنة ١٩٨١ م - مؤسسة الرسالة - بيروت .

٢٤ - عيون الأخبار - ابن قتيبة - طبعة أولى سنة ١٩٨٦ م - دار الكتب العلمية - بيروت .

٢٥ - فضل علم السلف على الخلف - ابن رجب الحنبلي - طبعة أولى سنة ١٩٨٦ م - دار عمَّار - الأردن .

٢٦ - قاعدة في الجرح والتعديل - الإمام السبكي - بتحقيق عبد الفتاح أبو

غدة - طبعة سنة ١٩٨٣ م - المكتبة العلمية - لاهور باكستان .

٢٧ - القسطاس المستقيم - الإمام أبو حامد الغزالي سلسلة الثقافة الإسلامية - العدد ٣٧ - سنة ١٩٦٢ م - مصر .

٢٨ - لحوم العلماء مسمومة - د/ ناصر ابن سليمان العمر - طبعة أولى سنة ١٤١١ هـ - دار الوطن - الرياض .

٢٩ - المجموع شرح المهذب - الإمام النووي - بتحقيق محمد نجيب المطيعي - بدون تاريخ أو اسم مطبعة .

٣٠ - مجموع فتاوي ابن تيمية .

٣١ - مدارج السالكين - ابن قيم الجوزية

- نشر دار الكتاب العربي - بدون تاريخ .

٣٢ - مفتاح دار السعادة ، ومنشور ولاية العلم والإرادة - ابن قيم الجوزية - مكتبة الفاروق الحديثة - بدون تاريخ .

٣٣ - مناقب الإمام أبي حنيفة - الموفق الخوارزمي - طبعة مجلس دائرة المعارف النظامية بحيدر آباد الدكن - الهند - سنة ١٣٢١ هـ .

٣٤ - منهج أهل السنة والجماعة في تقويم الرجال ومؤلفاتهم - أحمد بن عبد الرحمن الصويان - طبعة أولى سنة ١٤١٠ هـ - دار الوطن - الرياض .

٣٥ - هدي الساري مقدمة فتح الباري - ابن حجر العسقلاني - طبع المكتبة السلفية بمصر .

فهرس الموضوعات

المقدمة ٣
(١) من هم العلماء ٩
(٢) منزلة العلماء في الإسلام ١٣
(٣) دعوة الإسلام لتوقير العلماء ١٩
(٤) حكمة الشارع في الأمر بتوقير العلماء ٢٩
(٥) من مظاهر توقير العلماء ، وأمثلة تطبيقية عليها ٣٣
(٦) موقف الإسلام من إيذاء أهل العلم والتطاول عليهم ٤٥
(٧) من صور التطاول على العلماء ٥١
(٨) النتائج المترتبة على إيذاء العلماء والتطاول عليهم ٥٩
(٩) أسباب التطاول على العلماء ٦٥
(١٠) ملامح عامة في سبيل العلاج ٧٥
(١١) كيف نتعامل مع أخطاء العلماء ٩١
الخاتمة ١١٣
فهرس المراجع ١١٥
فهرس الموضوعات ١٢٥

بسم الله الرحمن الرحيم

نبذة عن المؤلف

- هو : الدكتور : طلعت محمد عفيفي من مواليد الجيزة بجمهورية مصر العربية سنة ١٩٥٣ م .

- تخرج من قسم الدعوة والثقافة الإسلامية بكلية أصول الدين بالقاهرة سنة ١٩٧٩ م ، وكان ترتيبه الأول على دفعته .

- واصل دراسته العليا بذات القسم والكلية حتى حصل على شهادة الدكتوراه سنة ١٩٨٦ م ، وكان موضوعها : القصة في السنة النبوية ، وأثرها في مجال الدعوة الإسلامية .

- عمل معيدًا منذ تخرجه بكلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة ، وتولى فيها رئاسة قسم الثقافة الإسلامية لمدة سنتين ، ثم عين عميدًا

لهذه الكلية سنة ٢٠٠١ م .

- أعير للعمل بالجامعة الإسلامية العالمية بإسلام أباد بجمهورية باكستان الإسلامية لمدة ست سنوات في الفترة من ١٩٩١ م وحتى ١٩٩٧ م .

- له عدة مؤلفات يتداولها الجمهور وينتفعون بها ، ومن أهمها :

(أ) أخلاق الدعاة إلى اللَّه تعالى النظرية والتطبيق .

(ب) فضل حفظ القرآن الكريم وتحفيظه ، وأخلاق حملة القرآن .

(جـ) مدخل إلى التعليم في ضوء الإسلام .

(د) مختارات من القصص الصحيح في السنة النبوية - دراسة تاريخية وتربوية .

(هـ) نظرات في مسيرة التاريخ

الإسلامي - دراسة تاريخية تربوية .

(و) المسلمون وداء الفرقة .

هذا إلى جانب بعض الرسائل الصغيرة ، والأبحاث المنشورة في المجلات العلمية ، مع القيام بواجب الدعوة في المساجد ودور تحفيظ القرآن الكريم .

(٧) أشرف على العديد من رسائل الماجستير والدكتوراه بجامعة الأزهر والجامعة الإسلامية العالمية بباكستان .

رقم الإيداع
2001/11881
الترقيم الدولي I.S.B.N
977-342-01